

اللاجئون ليسوا مهاجرين.. هذا ما تثبته الروايات

باحثة عراقية ترسم ملامح المنفيين عبر عشرين رواية



اللاجئ صورة خلقتها البروباغندا (لوحة للفنان عبدالله العمري)

محاولة لقراءة الموضوعات المستحدثة في النتاج الروائي العراقي مما يستحق القراءة والتقيب، ولم تمسه يد الدراسات البحثية بعد.

ولكن وإن استبعدت الباحثة بعض النماذج التي لا ترتقي إلى القراءة المنهجية في رأيها، فإنها أغفلت روايات عديدة، تناولت قضايا اللاجئين، لروائيين عراقيين مقيمين في الخارج، ونالت اهتماماً نقدياً على مدار العقدين الأخيرين منها على سبيل التمثيل، ثلاث روايات لكاتب هذه السطور "حليب المارينز"، "أبناء الماء" و"جسر التفاحة".

أما الفصل الثالث والأخير فحمل عنوان "فاعلية المكان في رواية اللجوء"، وقد تناول في مباحثه بناء المكان ودلالاته في رواية اللجوء، من حيث الكيفية التي تم بها بناء الأماكن وفقاً لاشتراطات الحكاية الإطار، والمكان بصورة مركزية في رواية اللجوء، من خلال قراءة الأماكن الواقعية والمتخيلة، وتفسير مركزية المكان واليات عرضه في متونها. ونظراً إلى سعة الروايات العراقية، التي تناولت ظاهرة اللجوء، فقد انتخبت الباحثة عشرين رواية، ذات قيمة فنية عالية، من وجهة نظرها، عادةً دراستها

ويحمل الفصل الأول من البحث عنوان "تمثيلات اللاجئ روالياً"، وجاء في ثلاثة مباحث تناول الأول أنماط اللاجئ وصوره وقضاياها في الرواية العراقية، وقرأ المبحث الثاني بناء الروائي لشخصية اللاجئ العراقي، ودرس المبحث الثالث تمثيلات مجتمعات اللجوء.

ودرس الباحثة في الفصل الثاني قضية "الإيقاع الزمني في رواية اللجوء"، حيث تناولت جدل أزمنة الكتابة وميدان اشتغال الذاكرة الروائية، علاوة على دلالات الزمن الأسطوري والتاريخي في رواية اللجوء، واليات بناء الزمن.

قيمة روائية بارزة شكلت خلفية لأحداث نصوص روائية غزيرة، متسقة باطر متشابهة، وبقضايا وهموم مشتركة لفتت النظر لمعالجتها وقراءتها فنياً وثقافياً.

عشرون رواية

تضيف الباحثة أن رواية اللجوء قدمت تجارب غنية، يمكن أن تكون حكاياتها وقضاياها حكاية كل فرد عراقي وقضيتها؛ لأنها نتجت عن نوات مؤنت تجربتها كشاهد عيان بنوب عن الجماعة، وهو ما يفسر السرد بلسان الجماعة فيها.

نجد للمتغيرات الاجتماعية والسياسية تأثيراً بالغاً في النصوص الأدبية المعاصرة، فمع ارتفاع وسائل التحرر وافتتاح الأقاليم العربية على هامش أوسع من الحرية ومساحة أكبر من التجريب، انطلق الكثير من الأدباء في تماس جريء مع الواقع، لذلك صار الأدب، بعيداً عن تقيمه فنياً، مرآة لواقعه. ولا أدل على ذلك من انعكاس ظواهر العنف والتهجير والنفي والتعصب على الروايات التي تكتب اليوم.

وتتفق معه الباحثة نانسي برج، صاحبة كتاب "المنفي من المنفى"، في أن الاختلاف بين المنفي والمهاجر يتمثل في فكرة الإقامة، فالمهاجر ينقل معه فكرة "البيت" سعياً إلى الاستقرار لا العودة، وتقتبس الباحثة من الناقد عبدالله إبراهيم تعريفه للمنفي بأنه "مكان يتعذر فيه ممارسة الانتماء، والمنفي ذات بشرية وأعية، لكنها ممزقة هتكت عنزيتها، وخربت سويتها الطبيعية فلا سبيل إلى إعادة تشكيلها في كينونة منسجمة مع نفسها أو مع العالم". لكن المغتربين قد يشاطرون المنفيين في الشعور بالوحدة والمرارة والاعتراب.

ترى الباحثة جريو، في مقدمة بحثها، أن الرواية العراقية شهدت اليوم تطوراً واضحاً على صعيد المعالجات الموضوعية التي يقوم عليها محكيها السردية، إذ شكل الواقع العراقي بتحولاته المستمرة مادةً خاماً لظهور تجارب روائية معتبرة، ولأن قضية اللجوء واحدة من أبرز قضايا المجتمع العراقي المعاصر، فقد أفرزت مشاكل وأزمات مختلفة، وعبرت عن تطورات شراخ شعبية واسعة، رافقها بروز أزمات جديدة تتصل بقضايا الراهن المحلي المتصل بقضايا الراهن العالمي سياسياً واجتماعياً وثقافياً واقتصادياً.

وأصبحت صورة اللاجئ محط اهتمام البروباغندا العالمية لأنها أحدثت تغييرات مفاجئة في بنية مجتمعات العالم، ولاسيما في أوروبا وأمريكا، فشغلت علماء السياسة والاجتماع والانثروبولوجيا، وانتقلت لتشغل حيزاً مهماً في الأعمال الأدبية، فهي ترتبط بواقع إثبات الهوية والوجود للشراخ اللاجئ، خاصة أنها تحولت إلى مجتمعات تجاوزت جيلها الأول، ووصلت إلى الجيلين الثاني والثالث.

إلا أن مشكلة الشراخ اللاجئ تكمن في عيشها منعزلاً ثقافياً جعلها تعاني انغلاقاً وانحساراً في الانفتاح على الآخر الأصلي، فجاءت محاولات إثبات وجودها وهويتها عبر التمثيل الأدبي، الذي يحاول البحث رصد أبرز إشكالاته الثقافية على صعيد المضمون، وما أحدثته من متغيرات جذرية بالانتماء على صعيد البنية الفنية للنوع الأدبي، فجاء هذا البحث لدراسة قضية اللجوء بوصفها

عواد علي
كاتب عراقي



لفتت ظاهرة اللجوء في الأدب العربي، خاصة في الرواية، اهتمام العديد من النقاد والباحثين، نظراً إلى غزارة النتاج الروائي الذي تناولها في السنوات الأخيرة إثر استفحالها بسبب وبيلات الحروب والكوارث وحالات القمع والاضطهاد في بعض الدول العربية. وقد جرى تمييز سرديات اللجوء عن سرديات الهجرة وسرديات المنفى أو الاغتراب أو الشتات، على الرغم من اشتراك هذه السرديات في قيمة عامة هي أزمة شخصية العربي قبل مغادرته بلاده أو بعدها قسراً أو طوعاً، ومعاناته من القهر والانكسار والتمزق والنوستالجيا.

اللاجئ ليس مهاجراً

الباحثة العراقية نور الهدي محمد جريو درست ظاهرة اللجوء في بحث أكاديمي، عنوانه "صورة اللاجئ في الرواية العراقية 2003 - 2017"، نالت عليه مؤخراً درجة الماجستير في كلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة المنقني. تميزت الباحثة بين المغتربين (المهاجرين) والمنفيين، فالصنف الأول هم أناس اختاروا العيش في بلد غريب ولم يجبروا على ذلك، أما الصنف الثاني فقد أرغمتهم سلطة ما على ترك ديارهم لأسباب شتى.

المنفي والمهاجر مختلفان، فالأخير يرسخ فكرة الإقامة فينقل معه فكرة "البيت" سعياً إلى الاستقرار لا العودة

ويرجع إدوارد سعيد "النفي" إلى كونه ينبع من ممارسات قديمة قدم الدهر أهمها الإبعاد، فهو ليس خياراً فردياً، كما هو الأمر مع "العربة"، بل هو أمر مفروض وجبري. ويعد المنفي واحداً من المصائر الأكثر حزناً.

معهد العالم العربي بباريس يفتح ملف تاريخ يهود الشرق

وتوقع مدير المعهد العالم العربي أن يكون افتتاح هذا المعرض في مارس أو أبريل المقبلين، وقال إن "المعرض جاهز وينتظر فقط الضوء الأخضر من السلطات الصحية ليفتح أبوابه للجمهور".

هذا الحدث الذي سينظم في خريف 2021 "سيمثل تظاهرة ذات إشعاع عالمي"، مشدداً على أنه "بالرغم من جائحة فايروس كورونا، بواصل معهد العالم العربي استراتيجيته وظلت مشاريعه متعددة جداً".

وأضاف "من الأكيد أن المعهد اضطر في العديد من المناسبات إلى إغلاق أبوابه وفق المتطلبات التي تملتها السلطات الصحية، لكن في الوقت ذاته استخدمنا بشكل كامل الشبكات والإنترنت، وتمكننا من تعميم أنشطتنا في عدة مناسبات من مؤتمرات ومناقشات ولقاءات مع الكتاب وحفلات وجميع الأحداث التي تطبع الحياة حتى في معهد العالم العربي".

وقال لانغ "نحن موجودون بشكل دائم على الإنترنت، كما أن الأصداء التي نتلقاها من بلدان مختلفة ومن فرنسا أيضاً تظهر أن هذه الأنشطة الفنية والثقافية التي يتم نقلها بواسطة النظام الرقمي حققت نجاحاً كبيراً".

ولفت في حديثه إلى أن مشاريع معهد العالم العربي متعددة جداً، قائلاً "بداية، نحن ننتظر نهاية هذه الفترة لنفتح أمام الجمهور معرضنا في بداية العام المخصص لأشهر المطربات في العالم العربي: أم كلثوم وفيرون ووردة وغيرهن. وسيكون ذلك حدثاً مميزاً، إذ سيحتفي بما قدمته هؤلاء المطربات الشهيرات للحياة الفنية إلى حدود اليوم وكيف أنهن مكن النساء من خوض نضالهن من أجل التحرر".

لترميم وصيانة المآثر اليهودية والحفاظ على آثارها من المعابد والمقابر وغيرها، مؤكداً أن التدابير المتميزة التي اتخذها المغرب لتمثل، على الخصوص، في إدراج تاريخ الثقافة اليهودية المغربية في المناهج الدراسية.

وقال إن "كل هذا يشكل مبعث ارتياح لكل من يؤمن بتعددية الثقافات والمعتقدات، إنه أمر رائع". وأكد لانغ أن

وقال إن المغرب "يمثل استثناء، وأود أن أشير في هذا الصدد إلى الديباجة الشهيرة للدستور المغربي التي يذكر فيها أن المغرب يتبنى مختلف الموروثات من ضمنها الموروث العبري، وقد أعلن الملك محمد السادس مؤخراً عن إحداث متحف للتراث اليهودي في فاس".

وأشاد رئيس معهد العالم العربي بتشجيع المغرب للعديد من الأوراش

البيديهي أن يكون المغرب حاضراً بقوة في هذا الحدث حول تاريخ اليهود. فنحن نعلم إلى أي مدى تعتبر الثقافة اليهودية المغربية ثقافة أصيلة ومنتفردة وقد طبعت بعمق الثقافة والحياة المغربيةتين".

وحرس لانغ، في هذا السياق، على إبراز "الاستثناء المغربي الذي يتميز بتنوع روافته الثقافية والفكرية ويرز كل الموروث الثقافي والروحي للبلاد،"



المعهد يقدم معرضين ثقافيين حول المطربات العربيات وعن تاريخ يهود المشرق والعالم العربي

وفي ما يتعلق بتدريس اللغة العربية التي تعتبر إحدى خصائص معهد العالم العربي، أكد لانغ، مؤلف كتاب "اللغة العربية كنز فرنسا"، أن هذا التدريس تم تأمينة بـ"نجاح كبير لفائدة الصغار كما الكبار".

وقال "لم نتوقف عن تدريس اللغة العربية"، وعبر عن ارتياحه لكون المعهد "يقوم بذلك باعتماد الأساليب الحديثة".



يهود المغرب مكون ثقافي أصيل